في الضفة الأخرى بعض الفرح

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2018 م
ردمك 978-9947-79-254-4 : (ISBN)
التوزيع الدولي للكتاب: مصر/لبنان/العراق/الأردن/السودان

اسم العمل: في الضفة الأخرى بعض الفرح
اسم المؤلف: رويشة العابد
تصميم الغلاف: لغويل سيف الدين
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج: فريق دار المثقف

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر/دار بيبلومانية مصر للنشر و التوزيع
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 0675 49 73 86 / 033 85 65 70

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

رويشة العابد

في الضفة الأخرى بعض الفرح

مجموعة قصصية

المثقف

الإهـــــــــــداء

أهدتني منذ أربع سنوات كتاب " كتابات جزائرية نسوية - شظايا أصوات " الصادر في إطار المهرجان الدولي السادس للأدب وكتاب الشباب جوان 2013، وكتبت في مقدمته إهداء في منتهى الروعة " إلى الكاتبة الحاديّة عشر... عساه يكون قريبا " فقد ضمّ الكتاب عشر كاتبات جزائريات هنّ من ألمع ما عرف الأدب النسوي الجزائري.

كانت تؤمن بموهبتي وتشفق على أحرفي أن تبقى حبيسة في مكتبي، بل أردت دوما أن أمنحها الحرية وأقفز بها للضفة الأخرى.

فلك ذلك يا صديقتي، سأمنح هذه القصص القصيرة الخلاص وأتركها تقفز للضفة الأخرى.

إلى أستاذتي وصديقتي أمينه حناني أهدي هذا العمل الذي انتظرته طويلا .

تاج من قوس قزح

قطفت الورد من الحديقة العمومية، سبع وردات كانت كافية لأنسج لها تاجا جميلا تضعه فوق رأسها كالأميرات في أفلام الكرتون والقصص المصورة الموجّهة عادة للأطفال، كنت أعرف أنّه سيعجبها هذا التّاج الملون بألوان قوس قزح، وأنها ستبدو فيه أجمل أميرة ولسعادتي به وبفكرة صنعه لم أشعر بوخز الشوك في أصابعي ولا بقطرات الدم التي لوّنت آخر الغصن.

وجاء موعد الزيارة وتسلّلت وسط الجموع لأستعجل وصولي لباب غرفتها، أعرف أنها تنتظر زيارتي بلهفة وأعرف أنّ سعادتنا حين تلتقي أعيننا في النظرة الأولى من كل زيارة، آه لسحر ابتسامتها وفرحتها بي التي تناغم فرحتي، أحببت أن تكون هديتي لها اليوم مميزة، أن أعيد لها ابتسامتها "والورد يستهال الورد".

فكرة تاج الورد أيقظتني فجرا بعد أن قضيت الليل بطوله أبحث عن فكرة جديدة لهدية مختلفة، لهدية مميزة تليق بنبضي وترضي نبضها، تنسيها خصلات شعرها المتساقطة شعرة بعد شعرة، فلم تعد علب شوكولا - رغم تنوّعها – تبهرها، ولا دببة الصوف تفرحها ولا ألعاب المهرّج ولا البنت المبتسمة استطاعت أن تعيد لها بسمتها.

كل اللعب أصبحت مبتذلة، قارورات العطر لم تعد تغري أنوثتها، روايات أحلام وواسيني وخولة محمدي وفضيلة فاروق و.....

قـد أصبحـت كل الكتـب والروايـات مملّـة في بعـض اللّحظـات وحتـى عصفـور الكنـاري الـذي أحضرتـه لهـا مـن رحلتـي الأخـيرة وأعجبهـا كثـيرا حـدّ البـكاء، عـادت بعـد شـهر تترجّـاني أن آخـذه بعيـدا عـن جـدران المستشـفى قـد أشـفقت عليـه في سـجنه الثـاني وترجّتنـي أن أعتنـي بـه وألّا أتركـه وحيـدا.

وصلـت بـاب غرفتهـا وولجـت بابتسـامة عريضـة وإذا بفراشـها خـال... تسـمرت في مـكاني وفي لحظـة توقـف الزمـن، أردت أن أصرخ أن أناديهـا لكـن .....

يتبع .....

سيدي سليمان 20/10/2018

سيـــــد الواجـــــب

استطعت بعد سنتين من زواجنا أن أنجب لك الولد الذي تنتظره، على أمل أن يغيّر هذا الوافد الجديد حياتنا، ويجدّد علاقتنا التي بدأ الملل والركود يغطيّانها بغبار الروتين فقد تغيَرت سريعا وفي أقلّ من شهرين من زواجنا، وكنت أحاول قصارى جهدي أن أكون كما تريد مع أني ما عرفت يوما ما تريد؟ لأني عجزت عن سؤالك طوال فترة خطوبتنا: ما هي مواصفات فتاة أحلامك؟ ليس خجلا منك بل خوفا من أن أكون بعيدة عن تلك المواصفات، فخطوبتنا ولدت بشكل تقليدي بحت في وقت تخلّت فيه معظم العائلات الحديثة عن هذا النوع من العلاقات، ولأنّ جدّتي لأبي ربّت والدتك حين تيتّمت لم تجد أنسب منك أنت لتكون زوجي أنا قرة عينها وحفيدتها المدللة، ووجدنا أنفسنا مرتبطين أنا ابنة سن الثانية عشر وأنت المقبل على اجتياز شهادة البكالوريا وكطفلة حالمة أعجبتني فكرة الارتباط وأعجبتني أكثر عبارة : (أحلام لعلي) يعني أنّك شخص محرم على غيري وأنك ملكي ولي وحدي وفرحتي بك حينها كانت كفرحتي بدمية عيد ميلادي الثالث كانت دمية كبيرة تغني وتقول حين تحضنها

(I love You)

شـغلتني وأصبحـت كل حيـاتي وكنـت أتابعـك مـن بعيـد أتجـوّل معـك في الشّـارع وأرتـاد الثانويـة وأحـضر معـك دروسـك كنـت أتابعـك في ملعـب كـرة القـدم، هوايتـك المفضّلـة وفي حصـص السـباحة التـي تمارسـها نهايـة كلّ أسـبوع، كنـت أتوجّـه معك للمسـجد كنـت، كنت.... كنـت أعـرف عنـك كلّ شي وأيّ شي... عطـرك المفضّـل، طبقـك المفضّـل، لـون حـذاؤك، غسـول وجهـك.. كل شي وأي شيء حتـى طريقـة نومـك، أجـل فعلتهـا ذات يـوم حـين كنّـا أنـا وجـدّتي مدعوّتـان في بيتكـم، فقـد قضيـت الليـل بطولـه متسـلّلة عـلى أصابـع قدمـي لأراقبك خلـف نافذة غرفتـك وأنـت غـارق في نومـك، أتعـرف كانـت تلـك هـي الليلـة التـي عرفـت فيهـا أني أحبّـك ولم أعـد أخـشى قولهـا أمـام مـرآتي ولا خشـيت كتابتهـا في مذكّـراتي التـي بـدأت معـك وبـك ولـك، كنـت قد بلغت سـن الخامسـة عـشر ولم يعـد حبّـي لـك كحبّـي لدميـة عيـد ميـلادي الثالـث بـل أكـبر وأعمـق، شيء فيـك كان يسـلبني حريتـي واستسـلم لـه لكنّـي كنـت أخـاف أن أنكشـف وأن يفضـح أمـري فالاعـتراف بالحـب جريمـة في مجتمعنـا لكـن وجـودي مـع جـدّتي كان يشـعرني بالأمـان فهـي مـن أقـر بعلاقتنـا ومـن ذا يجـرؤ عـلى مخالفـة قـرارات جـدتي .

وحين وصلت أنا لاجتياز شهادة البكالوريا كنت أنت تودع الجامعة، الجامعة التي ما أحببتها يوما فقط لأنّها أخذتك منّي ولم نعد نلتقي ولم تعد تفاصيل يومك تصلني لبعد المسافات، كنت أحاول دوما إيجاد فضاء مشترك يجمعنا ولم أفكّر يوما في شعورك اتّجاهي فقناعتي أنّك لي كانت تريحني.

بدأت مشوار البحث عن عمل ولم أفلح أنا في اجتياز شهادة البكالوريا رغم مستواي الجيّد لكنّ طموحاتي كانت بعيدة عن الجامعة، وفي الصيف ذاته مرضت جدّتي وتدهورت صحّتها فدخلت المستشفى وشعرت حينها أن مملكتي التي بنيتها لسنوات سوف تنهار لو أنّ مكروها ما حدث لجدّتي فتملّكني الحزن، حزن شديد ودعوت اللّه ليلا نهارأ لتتعافى جدّتي .

استجاب ربي لدعائي وغادرت جدّتي المستشفى لتفاجئ الجميع حتى أنا بقرارها الذي غيّر حياتي، قرار حسبت أن انتظاره سيطول .

جمعت جدتي الجميع وقرّرت تعجيل زواجنا خوفا من أن يداهمها المرض مجدّدا ولم يلق قرارها أي اعتراض وجدت نفسي بفستاني الأبيض في غرفتك ولا يمنعني عنك شيء، كانت ليلة ماطرة وكنت أرتجف فرحا ونشوة وخجلا فقد أصبحت لك وأصبحت لي.

كنت معي سيّد الواجب والزوج المطيع هادئ الطباع كما عرفتك دائما الابن البار المطيع لا تعترض، لا تحتج، لا تتذمر ولم أكن أعتقد أني حتى بعد زواجنا سأعيد للتخطيط في إيجاد مجال مشترك بيننا وأنك ستستمرّ في رسم مسار آخر بعيد عن فضائي .

كنت تفضّل السهر مع الأصدقاء خارج البيت أو مع فضائك الأزرق وحين أدعوك لنسهر تفضّل النوم وإن دعوتك لنخرج تفضّل البقاء في البيت... تسلّل الروتين لحياتنا ودخل حتى غرفتنا وأصبحت علاقتنا من باب الواجب لا غير، كنت صامتا طوال الوقت، لا تتحدّث إلا لتطلب شيئا أو لتخَبر بشيء، لا تناقش، لا تجادل، لا تعترض، لم أفهمك يوما وبدأت أخشى على نفسي من الملل وتحوّلت في زمن قصير إلى امرأة فاترة كثيرة الصمت منطوية لم تتغير مشاعري اتّجاهك ولازلت أحب تأملك وأنت غارق في النوم وأسترق النظر إليك وأنت منكب على حاسوبك غارق في عالمك وبعد سنة أدركت أن زواجي بك كان من باب الواجب، فات سيد الواجب والابن البار المطيع فكيف ترفض طلب جدتي وتخالف رغبة أمّك، ذبلت حياتي وتكدّرت أيامي وأنا أشهد علاقتنا ومملكتي التي بنيتها تحوّلت إلى واجبات متبادلة بين طرفيها

ـ أحّـضر لـك كل مسـتلزماتك في البيـت مـن أكل ولبـاس وفـراش ونظافـة وهـدوء وراحـة وتوفـر أنـت للبيـت كل مسـتلزماته وحتـى علاقتنـا الزوجيـة أصبحـت تؤدّيهـا مـن بـاب الواجـب الـذي خوفـا مـن أن تأثـم عـلى تركـه، حاولـت مـرارا إيجـاد مجـال لحـوار مشـترك، أن أسـمعك أن أعـرف فيـما تفكّـر وكيـف تفكّـر لكنـك كنـت تتقـن لغـة الصمـت تحـب الإيجـاز.

اختلطـت المشـاعر بداخـلي وازدحمـت الأفـكار وتـسرّب الفتـور حتـى إلى مشـاعري اتّجاهـك واستسـلمت ليـأس مميـت إلى أن جـاءني الخـبر اليقـين في أنّنـي حامـل، هـذا الخـبر الـذي أسـعد العائلـة وأبهـج جـدتي وهـي عـلى فـراش المـرض وكانـت وصيتهـا لـك أيـام قبـل أن تفارقنـا: عـلي أوصيـك بأحـلام خـيرا.

ماتـت جـدّتي وخلفـت فراغـا كبـيرا في حيـاتي لكنّهـا بوصيتهـا لـك أكّـدت لي أن مملكتـي ستسـتمر وأنـت سـيد الواجـب، ورحـت بعدهـا أتطلّـع لصغـيري الـذي سـيملأ كل فـراغ خلّفتـه جـدّتي هـذا الجنـين الـذي لم يغـيّر في طباعـك شيء واسـتمرّت واجباتـك اتّجاهـي.

وفي الأشـهر الأخـيرة مـن حمـلي تعبـت ولـزم عـليّ المكـوث في المستشـفى بقـدر مـا تعبـت نفسـيتي مـن هـذا المكـوث المحتـم بقـدر مـا راق لي فقـد تعرّفـت فيـه عـلى عـلي آخـر غـير ذلـك الـذي أعيـش معـه كنـت تكلمنـي كل سـاعة تقريبـا لتسـألني كيـف أنـت؟

كنت أودّ قول الكثير، أن أجيب على أسئلة لم تطرحها لكنّي كنت أكتفي بقول الحمد للّه، فتغلق هاتفك وتعاود الاتّصال بعد ساعة لتعيد نفس السّؤال لأردّد الجواب نفسه، حين كنت تزورني تخرج من جيبك علبة الشوكولا وتمدّني إيّاها كنت أفرح كثيرا أكثر من فرحتي بدميتي في عيد ميلادي الثالث تأزّمت صحّتي في الشهر الأخير ولزم مكوثي في العناية المركزة، كنت ألمحك من خلف الزجاج وبريق في عينيك يحكي الكثير فأبتسم فترد عليَ بابتسامة هي أجمل ما رأت عيني .

داهمني المخاض ذات ليلة صارعت الموت لأجل صغيري ولأجلك حتى خارت قواي واحتجت لدم إضافي فكنت أنت من تقدّم بدمه لي ولأوّل مرّة أشعر أن ما قدمته لي هذه المرة لم يكن من باب الواجب بل شيء أكبر من ذلك، أمسكت صغيرنا وأنت تتأمّلني وكأنك تراني لأوّل مرّة، أغمضت عيناي لأني خشيت هذه المرة من عينيك .

سيدي سليمان في 14/10/2016

كيف أعيش بلا أنامل حبيبتي

لا أصدّق أن أناملها التي أخاطت أزرار قميصي وكوت ملابسي وحضرت طعامي ستقطع بعد قليل داخل غرفة العمليات وتمسي حبيبتي بلا أصابع، تلك الأنامل التي طالما كتبت لي تقارير عملي وجهزت حقائبي وأوراقي ونظفت ونظمت وغسلت ورتبت وسلقت وحضرت وطبخت ومسحت و.... تلك الأنامل ستقطع، ستقطع وتعيش حبيبتي بيد مبتورة الأصابع، تلك الأصابع التي كثيرا ما مارست معي حبا دور الأمومة فمشطت شعري وحلقت ذقني ومسحت عرقي وجففت أدمعي، ستختفي وللأبد تلك الأصابع التي أدان لها بثلاث عشر سنة من الاهتمام اللّامتناهي طوال فترة زواجنا وقبل.

فقد قرّر الطبيب المعالج بتر أصابعها في آخر جلسة فحص أجرته زوجتي بعد أن اشتدّ الألم بها لدرجة لم تستوعبه المسكنات العلاجية وتفاقمت التقرحات ممّا أدّى إلى تلف حاد بالأنسجة وجزء كبير من عظم أصابعها وأصبح البتر حتمية لابدّ منها للحفاظ على بقية اليد.

لا أصدّق أن حبيبتي ستمضي بقية عمرنا بيد مشوّهة الأصابع، ردّت عليَ مبتسمة وهي تسمع قرار الطبيب

لابأس بملعقة واحدة على المائدة مادمت ستطعمني بيدك....

ورقلة في 22/12/2007

غيـــــــــرة مجنونة

تحبـه إلى درجـة العبـادة وتغـار عليـه إلى درجـة الجنـون هـا هـو اليـوم مسـافر في مهمّـة عمـل وهـي لا تقـوى عـلى هـذا الفـراق المحتم، كيـف سـتكون بعـد لحظـات وأنفاسـه لا تحلـق في سـمائها هـا هنـا وعطـره لا يغـذي عطـش روحهـا الظـمأى.

سـيغيب أسـبوع، سـبعة أيّـام وكأنّهـا سـبع سـنين هـما لم يفترقـا منـذ عقـد الهـوى بـين قلبيهـما وكلّلـه الـرّب بـزواج عطـر يبلـغ اليـوم شـهره الثالـث كانـت السـنوات الأربعـة التـي قضياهـا معـا بالجامعـة كافيـة يفهـم كل منهـما الآخـر أحبتـه فلـم تعـد تـرى فيـه إلا كلّ جميـل وأحبهـا وأصبحـت لـه كل الحيـاة ...

تنتظـره كل يـوم بنشـوة وشـوق وحـين يعـود مسـاءً تحيطـه بـكلّ مـا يطمـح إليـه رجـل عائـد مـن عملـه منهـك القـوى حتـى لا يـكاد يخـرج إلا إذا دعـاه أحـد أصحابـه أو لإقامـة الصـلّاة في المسـجد.

تمتـدّ يـده إلى البـاب مودّعـا إيّاهـا وتسـبقه يداهـا تضمّـه إلى صدرهـا في حنـو ووله علّهـا ترتـوي مـن أنفاسـه قبـل رحيلـه وقـد ترقرقـت دموعهـا عـلى خديهـا يمسـح دمعهـا وبـكل حنـان ويقبلهـا قبلتـه الأخـيرة ويغـادر.

يمضي الأسبوع ثقيلا مملّا، تستيقظ لتفكّر فيه وتنام لتحلم به وبين اليقظة والمنام لها معه ألف محطة ترتب ملابسه، تجمع أغراضه، تقرأ رسائله القديمة، تحن تتصل به ترسل رسالة قصيرة تقلب دفتر الصور ترحل مع ذكرياتهما معه تبتسم تضحك تدمع عيناها تتصل تسأله السؤال نفسه: ألا تشتاق لي؟

يمرّ الأسبوع يعود وبذات القلب الضان تستقبله تساعده في خلع معطفه تشمّه تتسلّل يدها إلى جيبه كعادتها الصبيانية التي لم تتخلص منها رغم ثقتها فيه وإذا بها هذه المرة تجد منديل عليه أثار قلم شفاه وهي تنظر إليه وكأنّها ترى صاعقة، ترمي المنديل وتجهش بالبكاء وتقرّر فورا مغادرة البيت.

يخرج من الحمّام يجد خطابا منها إليه (هذا الفراق بيني وبينك، عد إلى المرأة التي صاحبتها طوال الأسبوع وخلفت حمرة شفاها ذكرى على منديلك، يأخذ المنديل يتأمّله يحدث نفسه: مجنونة متى تعقلين أليس هذا منديلك وهذه حمرة شفاهك عن قبلة آخر لقاء بمنديلك، مسحت آثار الحمرة عن وجهي ووضعت المنديل في جيبي ...

-غيورة مجنونة متى تعقلين؟

يبتسم يحمل معطفه يهمّ بالخروج علّه يلحق بها.

ورقلة شتاء 2006

في الضفة الأخرى بعض الفرح

الـكلّ كان يرفـض أن أكـون في هـذه الرحلـة لكنـي كنـت مـصرّة عـلى الهجـرة هـذه المـرّة، أقصـد مـصرة عـلى "الحرقـة" فـأن يركـب مـا يقـارب ثلاثـون مهاجـرا في قـارب لا يتّسـع لأكـثر مـن عـشرة إلى خمسـة عـشرة راكـب هـي أكـبر مـن مقامـرة، وأكـبر مـن لعبـة البورصـة ومـن أيّ لعبـة أخـرى، هـي لعبـة لا تشـبهها لعبـة إلا لعبـة المـوت وجهـا لوجـه، هـذه اللّعبـة التـي حتمـت عـليَ دفـع مبلـغ إضـافي مـصرّة أن وزني لـن يضيـف شـيئا لثقـل المركـب وأني لـن أحمـل مـن الأمتعـة إلّا القليـل فـكان مبلـغ خمسـة عـشر ألـف دينـار كاف ليقنـع الهـواري الجميـع عـلى اصطحـابي معهـم في هـذه الرحلـة . السـاعة الثانيـة صباحـا فتـح لنـا البحـر كفّيـه وقـال هيّـا، وكان الظـلام يغطّـي المـكان لـولا المصابيـح اليدويـة والإنـارة المنبعثـة مـن هواتفنـا النقالـة لمـا ظهـر لنـا شيء، بدونـا كأشـباح الليـل ونحـن نركـب متراصـين عـلى المركـب كسـمك السرديـن في علبـة، وكنـت واحـدة مـن ثـلاث بنـات في الرحلـة، وكان أحمـد هـو مـن أخّرنـا هـذه المـرة انتظرنـاه لأكـثر مـن نصـف سـاعة إضافيـة ثـم قرّرنـا الانطـلاق بدونـه وإذا بـه يهاتـف الهـواري معتـذرا عـن هـذه الرحلـة، لكـم حييتـه عـلى شـجاعته، فشـجاعة البقـاء أصعـب بالكثـير مـن شـجاعة الرحيـل .

كان البرد قارسا جدّا خاصة مع الغيوم التي تزيّنت بها السماء ففكرة الهجرة بحرا في أواخر شهر ديسمبر وحدها تعدّ أكبر مغامرة، انطلق المركب يشقّ البحر وبدأ الشاطئ يختفي شيئا فشيئا حتى لا تكاد مصابيحنا اليدوية تلتقطه وبدا كل شي غارق في الظلام والسكون عدا صوت محرّك المركب وهو يغتصب جلالة البحر وهدوءه.

بدأ الوقت يمرّ ثقيلا جدّا رغم سرعة المركب وقد تمكن منا البرد وشلّ حركاتنا بالكامل وراح الصقيع ينخر أجسادنا نخرا، وبعد حوالي ساعتين ونصف في قلب البحر وبعد السّكون الذي كان مخيمّا على المكان بدأ البرق يلمع وصوت الرعد في أعالي السماء منذرا هطول المطر وازدياد موج البحر اضطرابا وكالبقية بدأ الخوف يتسلّل إلى نفسي، لكن لا أحد أعرب عن خوفه خاصة بعد أن تأكّد للجميع أن الهواري بدأ يفقد سيطرته على المركب فموج البحر كان أقوى هذه المرّة وراح يتقاذفنا يمنة ويسرى، تماسكت أيدينا ببعضها وكأنّنا نمسك بالحياة وعلا صوت عبد الله (لعنة اللّه عليهم، لعنة اللّه عليهم، كلاب...) أجهش بعدها بالبكاء، بكاء تحوّل إلى عويل، عويل ذئب يرفض الاستسلام يرفض الموت وإلى جانبي احتضنت الزهراء ابنها بقوّة وأخذت تردّد المعوذتين، ورحت أتأمّلها وأنا أتساءل ما الذي يدفعها للهجرة؟

ما الذي يدفعها للحرقة؟ كيف تجازف بحياة ابنها الذي لم يتجاوز العامين في عرض البحر في رحلة مجهولة الخلاص، مع كل ذلك شيء ما كان يؤكّد لي أنّنا سنصل وأنّنا أبدا لن نكون طعاما للحوت أو على الأقلّ سيكون لنا قبرا في مكان ما من هذه الأرض، حضنت نفسي أغمضت عيناي، ورحت أردّد الاستغفار...

أستغفر اللّه العظيم أستغفر اللّه العظيم ....

ورقلة في 21/12/2016

حلمنا أن نسرق بنكا

قـرّرت أنـا وصـلاح أن نسـطو عـلى بنـك واخترنـا هدفنـا بدقّـة "البنـك الخارجـي "حيـث تتعـدّد العمـلات والأرصـدة، تسـلّلنا مسـاءً كأي زبونـين واخترنـا الاختبـاء في الحـمّام إلى نهايـة الـدّوام بالبنـك، أوّل خطـوة قمنـا بهـا هـي تعطيـل الكاميرات وأجـراس الإنـذار لم يتطلّـب منّـا ذلـك جهـدا كبـيرا فقـد كان صـلاح خبـيرا في تركيـب كامـيرات المراقبـة، وفـكّ شـفرات الخزائـن الحديديـة، جمعنـا كل مـا في الخزانـة الرئيسـية وأفرغنـاه في كيـس للقمامـة وأكملنـا ليلتنـا داخـل البنـك، لابـأس بهـا فكـرة المبيـت داخـل بنـك.

مـع الخيـوط الأولى لبـزوغ الفجـر قمنـا بتوصيـل الكامـيرات مجـدّدا وفي الصبـاح ومـع بدايـة العمـل حيـث بـدا كل شيء عـلى مـا يـرام داخـل البنـك، خرجـت أنـا وبعـد لحظـات حمـل صـلاح كيـس القمامـة منتحـلا شـخصية عامـل النّظافـة وانـصرف مـن البـاب الجانبـي حيـث كنـت أنتظـره، ولحقنـا بموعـد الحافلـة المتّجهـة إلى العاصمـة أيـن سـنبدأ حياتنـا في زحمـة المدينـة ونحقّـق أحلامنـا التـي حلمنـا بهـا لسـنوات.

سيدي سليمان 12ماي 2017

لا تخبري أحدا أني أتابع طبيبا نفسيا

كانت الجلسة النفسية الأولى لي وكنت في حال لا أحسد عليها وكأن كل أعين العالم تحدق بي، تراني، وكنت أخشى هذه العيون التي تنظر لي عن قصد أو بغير قصد وأنا أنتظر أن يؤذن لي بالدخول لغرفة الطبيب، أخذ الأمر معي عدّة أشهر من التفكير المتردّد واللاّمتناهي أمسي بقرار وأصبح بآخر، ففكرة زيارة أخصائي نفسي لا تزال وبكل آسف في مجتمعاتنا العربية فكرة غير مستصاغة إطلاقا.

-زيارة طبيب نفسي هو نصف العلاج.

هو ما كانت صديقتي المقرّبة تحاول إقناعي به في كلّ مرّة ألجأ فيها إليها لأروي لها معاناتي الليلية خاصّة وهي ترى عن كثب تدهور حالتي النفسية والجسدية، وتغيّر تصرفاتي وتراجع وزني يوما بعد يوم، ومع ذلك كنت أقنع نفسي دائما أني لست بحاجة لمتابعة نفسية وأني بخير وأن أعراض الاضطراب والنسيان ما هي إلا نتيجة لضغوطات العمل والحياة لا غير، لكنّي كنت كلما خلوت بنفسي ليلا محاولة النوم يبدأ صوت بكاء الطفل المنبعث من بعيد يخترق ظلمة الليل مبدّدا مملكة الهدوء والعتمة ويزداد صوته اقترابا كلّما هدأ صوت الليل بالخارج أكثر وتوقّفت عجلات سيارات عن قهر صمود الأرصفة.

صوت الرضيع يضغط على أعصابي، صوته يمخر رأسي يتغلغل في كلّ جزء منّي يهز وجداني فأنهض في كلّ مرة للبحث عن مصدره في كل زاوية من زوايا البيت فلا أجد له أثر فأعود لفراشي وأدفن رأسي تحت الوسادة لأمنع صوت بكائه عن مسمعي لكنّي عبثا أفعل، عبثا أحاول ويستمرّ هو في البكاء....حتّى ترأف له نفسي وتحنو روحي وتبدأ الدموع تبلل وجنتي وتغرق وسادتي في صمت فأجلس وأستسلم للبكاء معه، بكاءً يستجدي فيه الحنان فيعصر قلبي عصرا وتفيض دموعي له إعصارا إلى أن يتعب هو ويخلد للنوم وأجدني بلا شعور منّي، أحضن وسادتي الغارقة بالدموع وأستسلم أيضا للنوم...

24/12/2017

قتلت حبيبتي

كنت أتحسّس جرحي الذي يزداد تدفقا وأنا غارقة في ألمي وسيّارته تلتهم الطريق إلى المستشفى ولا أصدّق أن الرصاصة قد أخطأتني وضربت المزهرية فكسرتها، لطالما نبهته مرات ومرات ألا يعبث بسلاحه هنا ألا يجهز أو ينظف سلاحه بالبيت ولا في أي مكان خارج العمل، لكنّه كان في كل مرة يتبسم ابتسامته النادرة الحدوث فيشرق وجهه الذي أنهكته الحياة العسكرية، ويقول لي:

-أتخافين، تخافين سلاحي، آه أنت لا تثقين في قبضتي،

كنت أقاطعه في كل مرة وأنا أبعد مسدسه عن وجهي:

-أنا لا أشك في خبرتك لكني أكره هذا الشيء الذي لا يترجم شيئا إلا الموت.

ردّ عليَ هذه المرة وهو يداعب بمسدسه وجنتي:

-لالالا..... لمَ هذه النظرة التشاؤمية صغيرتي، هذا الشيء الذي لا يعجبك قد يعني الحياة حين أدافع به على نفسي، حين أحميك به، قد يعني الأمن حين أصوبه ضد لص أو كلب مشرّد، قد يعني العدالة حين أوقع به على مجرم أو سفاح وقد يعني الحرية حين أقتل به عدوي وعدو الدين والوطن...

أبعدتـه عنّـي لأن سـلاحه آلمنـي بعـض الشيء، تبسـم مجـدّدا وهممت أنـا بمغـادرة الغرفـة واسـتدار هـو ليعيـد السـلاح في علبتـه وإذا بطلقـة شـاردة تخـرج منـه تمـر عـلى كتفـي وتوقـع المزهريـة أرضـا فتكسرهـا وتدخـل في الحائـط محدثـة صوتـا اهتـزت لـه كل أرجـاء الغرفـة...

2017/12/20

وأنت فرصة لا تتاح مرتين

لا أصدّق أنه عدل عن السفر بسببي وأن حضوره لمناقشة مذكرتي أهم عنده من إلغاء تذكرة سفره وغيابه عن مقابلة العمل المبرمجة غدا في إحدى أشهر شركات الاتصالات بالمملكة المتحدة، -هي فرصة لا تتاح مرتين

آخر كلمة قلتها له وأنا أودعه في المطار قبل ساعتين من عودتي للجامعة بعينين غارقتين بفيض من دموع ورعشة تهز الضلوع، دخلت المدرج حيث الجميع كان ينتظرني وما هي إلا لحظات حتى حضرت لجنة المناقشة وكان عليَّ أن أستجمع كل قواي لأبدأ في عرض ملخص عن مذكرتي في مدّة أقصاها خمسة وعشرون دقيقة.

كنت في موقف لا أحسد عليه كيف تراني ألخص أوّل ثمرة لحبنا في أقلّ من خمسة وعشرين دقيقة، كان معي طوال العمل لحظة بلحظة، كلمة بكلمة، حرفا بحرف، كيف تراني سأميز هذي الأحرف الآن وطائرته تقلع بعد لحظات مخلفة وراءه أحرف منثورة وكلمات مبهمة، كيف تراني أجمعها من جديد وأعرضها ولا يجلس هو في مقدمة الحاضرين.

وجّـه لي رئيـس اللجنـة الكلمة فأحسسـت بجفاف في حلقـي واختنقت أحـرفي، أغمضـت عينـيّ لأسـتعيد قوايـا وأسـتجمع أنفـاسي وحـين فتحتهـا وجدتـه أمامـي ممسـكا قـارورة مـاء، أمسـكتها وإذا بـه أرفقهـا بمنديل ورقي كتب عليه: وأنت فرصة لا تتاح مرتين.....

سيدي سليمان في 18/12/2018

ضيعت صحيفتي

سمعت اسمي فحملت صحيفتي بيد مرتجفة ورحت أزاحم الجموع متقدّمة، كانت كلها من ذوي البنى الضخمة وكنت الأقل حجما حتى لا أكاد أرى وسط الجميع، وراح الكل يردّد اسمي، يناديني، ولازلت أدفع الجموع ليفسح لي الطريق بجسم وهن وصوت لا يسمع، حتى انتبهوا لي أخيرا وراح الكل يفتح لي الطريق لأتقدّم إلى أن وصلت أمام باب حديدي ضخم وهناك انتبهت أني فقدت صحيفتي وسط حشود المجتمعين، كيف لي أن أعود لاسترجاعها؟

نظرت ورائي وقد بدا لي أن العثور عليها درب من المستحيل، تلفتّ إلى الباب مجدّدا بيدين فارغتين ليس معي شيء، فقد فقدت صحيفتي وليس بيدي أي زاد فكيف لي الدخول والتلفّت مجدّدا خلفي وكل الأعين تراقبني لا يفهمون ما أريد! متسائلين لمَ امتنعت عن الدخول؟ أدرت ظهري عن جميع ورحت أبكي خلف الباب أخجل أن أقول ضيعت صحيفتي !

13/11/2017

لا وطن بعد والدي

بسبب سوء الأحوال الجوية أعلن عن تأخير موعد الرحلة 976 أثار ذلك استياء المسافرين وسخطهم وبدا لي الأمر غير كذلك فكثير ما أخاف السفر بالطائرة رجعت إلى مكاني في زاوية من زوايا المطار أخرجت كتاب وأبحرت معه وفجأة علا صوت فتاة كانت تجلس جانبي متحدّثة عبر الهاتف المحمول قطعت الاتّصال وراحت تبكي، تبكي بحرقة، دنوت منها ووضعت يدي على كتفها التفتت لي وراحت تمسح دموعها التي تأبى أن تتوقّف، قلت لها: وكلي أمرك للّه، قالت: كان هنا في سفري الأخير هو من أوصلني للمطار وبقي معي طوال فترة الانتظار رغم نوبة الربو التي داهمته الليلة الماضية إلا أنّه أصرّ على مرافقتي والبقاء معي، والآن أنا وحيدة بدونه، غريبة في وطني وفي كل الأوطان، كيف تحلو لي الحياة وهي مريرة، لا أفكّر بالعودة هذه المرّة لم يعد هنا شيء يستحق الحياة بعد والدي، كان لي كل شي، كان وطني لا وطن لي بعده فقدت أمّي قبل عامين وودّعت والدي قبل أيام، لا وطن بعد وفاة والدي صمتت للحظة وقالت لي:

آسفة أزعجتك بشكواي، قلت لا أبدا.

وإذا بإذاعة المطار تؤكّد موعد انطلاق الطائرة لرحلة 976 .

ورقلة 26/11/2016

الفرار للمجهول

كان عمري عشر سنوات وكان منظر تلاميذ مدرستنا وهم يقفزون خارجا خلف سور المدرسة منظر مستفز جدا بالنسبة لطفولتي الهادئة، لم يكن الأمر يتطلّب الكثير، بعض الشجاعة وجهد جسدي، كان منظرهم وهم يرمون محافظهم تبعا خلف سور المدرسة منظر يثير فيّ كل الغبطة ثم أراهم يطيرون كالعصافير فوق السور ومن ثم يقفزون كصغار الأرانب ويلتقطون محافظهم من جديد ويختفون في لمح البصر كسناجب .

كنت أفرح حين ينجحون في الفرار وأنا أسترق النّظر إليهم من خلف شرخ الجدار تارة ومن شبابيك الحديد الخلفي تارة أخرى فيختفون شيئا فشيء، لكم أحببت منظرهم وهم يقفزون يناشدون الحرية خارج جدران المدرسة، وكم تملّكتني فكرة الفرار هذه واستحوذت على مشاعري لمدّة من الزمن وقد كان خجلي وهدوء طفولتي يمنعني أن أفعل مثلهم، إلى أن قرّرت ذات يوم خوض التجربة.

جاءت فترة الاستراحة الصباحية، حملت محفظتي وتقدّمت بخطوات ثابتة إلى فرقة الهاربين المتخفين عن أنظار المعلّمين تباعا، تأمّلت المحافظ وهي ترمى تبعا خلف السور ومثلهم فعلت بمحفظتي، وبدا الأمر الأصعب هو تسلّق السور المرتفع مقارنة بقاماتنا القصيرة...

وفجأة بلا تفكير منّي وجدت أحدهم يحملني عاليا من خصري والآخر فوق السور يمد يده إلي، تثبت فيه وفي ثواني وجدت نفسي أعلى السور، وصوت خلفي يهتف اقفزي... فقفزت وحملت محفظتي وسمعت صوت آخر يقول هيا اركضي... ركضت وركضت... بكل قوّة ركضت... وفي لمح البصر اختفى الجميع ووقفت منفردة ألتفت يمينا ويسارا أتساءل أين وجهتي؟ إلى أين يذهب التلاميذ حين يقفزون من على سور المدرسة ؟هذا السؤال الذي لم أجده له جواب إلى اليوم؟ !

سيدي سليمان في 28/12/2016

حلم أم يقظة

بين اليقظة والمنام كنت أسمع صوت بكائه الذي يزداد حدة شيئا فشيئا، صوت رخيم يرتجف من البرد. هكذا كان صوته، فرحت أبحث عنه في وشاح الظلام أمد يدي وسط القش أتلمسه وصوته يزداد حدة، أمسكت رأسي لأخفّف عنّي ضغط الصّوت لكنّه كان يزداد ويعلو وضعت كلتا يداي على أذناي فبدا لي صوته غير بعيد فاستيقظت ورحت أتحسّس سكون الليل لأتأكّد أنّه لم يكن مجرّد حلم...

هو ليس كذلك أسسسسس، إني أسمع صوت صبي يبكي انتفضت من مكاني، خرجت من غرفتي ولحق بي زوجي مستغربا

سألني زوجي: - ما الأمر ؟؟

- إنه صوت صبي، أتسمع بكاءه؟؟

ردّ زوجي: - الصوت قريب، إنّه خلف الباب ، رحت أبحث عن مصدر الصوت تبعت صداه لم يكن بعيدا عن البيت، خرجت مسرعة، كانت السماء تمطر بغزارة والبرد شديد، شديد جدا، وفجأة وسط الظلام لمحته كان ملفوفا بغطاء صوفي أبيض، صبي حديث الولادة تحت غير بعيد عن البيت لا أصدّق!

لم يمنع عنه غطاءه المطر فبدا مبلّلا عن آخره.

أسرعت إليه تلاحقني دهشة زوجي حملته بين يدي، يا اللّه رائحته زكية وكأنّه بعث من رياض الجنة، ضممته إلي فكفّ عن البكاء، أسرعت به من المطر، دخلت البيت ولازلت لا أدرك بعد إن كنت في حلم أم في يقضة.

24/12/2016

قلب واحد وعينين اثنتين

كان قد فقد بصره في آخر نوبة سكر فاجأته بالعمل بعد شجار بينه وبين مديره وعاد للبيت على أمل أن الدواء سيبدّد الغشاء الضبابي الذي غطى بصره لكن طبيبه أكّد له بعد ذلك أنّه لن يرى مجدّدا وأن يستمر في الدواء علّى اللّه يفعل بعد ذلك أمرا.

عائلتي، صديقاتي وكل معارفنا نصحوني بإنهاء العلاقة الزوجية، وكانت نظرات الشفقة تحاصرني في كلّ مكان، وفي كلّ المناسبات، في العمل في الشّارع في حيّنا وحتى في عيادة الطبيب.

فتاة في مقتبل العمر طموحة حيوية مقبلة على الحياة تتقيد بمرافقة كفيف ورعايته كل الوقت وازدادت نظرات الشفقة بعد أن أوقف عن عمله، وأردت في كلّ مرة أن أردّ عليهم، أن أقول الكثير لكن فضلت الصمت، أردت أن أقول أن علاقتنا أكبر من أن ينهيها فقدان أحدنا حاسة من الحواس، أردت أن أقول أنه ليس بحاجة لعينيه ليراني ولا أنا بحاجة لعينيه لأكتمل أردت أن أقول الكثير... حبنا أكبر فقد امتزجت روحانا منذ زمن وحلّقت بعيدا عن جاذبية الأرض عن فوضى الحواس، قد تآلفا جسدانا واستحالا إلى جسد واحد وإن فقد هو بصره فلا يحتاج الجسد واحد إلا لعينين اثنتين ليبصر.

ورقلة 27/12/2017

حالة اختطاف

كنت محملة بأكياس التسوّق وكان الجو لا يساعد على البقاء أكثر في موقف الحافلات فقرّرت توقيف أوّل سيّارة أجرة مع أن توفّر سيارة أجرة في مثل هذا الوقت من المساء وبمدخل السوق اليومي ليس بالأمر الهين ورحت ألتفت يمنة ويسرى علّي ألمح واحدة من بعيد.

أوف !! ضجرت من الانتظار !! وأخيرا ها هي واحدة، رفعت يدي فتوقّفت على الفور واتّجهت صوبها لأنتبه أن سيدة تجلس في المقعد الخلفي، لكن السائق أشار لي بالركوب بل ومدّ يده للباب الخلفي وفتحه، نظرت للسيدة فرأيت علامة الرضى بادية على وجهها فركبت، سلمت عليها لكنّها لم ترد التحية، قلت في نفسي: ربما هي غير راضية على مشاركتها ذات السيارة، لكن لابأس، ما باليد حيلة، أخرجت هاتفي وانشغلت بمتابعة جديد صفحتي على الفيس بوك وكنت بين الحين والحين أسترق النظر للمرأة من خلف نظّاراتي دون أن تلحظ، كانت في العقد الخامس أو تزيد بقليل ممتلئة الجسم ترتدي عباءة سوداء ممسكة حقيبة للظهر على حجرها وراحت تفتح جيوبها وكأنّها تبحث عن شيء، آه وأخيرا وجدته كيسا صغيرا لمناديل معطرة، أخرجت إحداها وراحت تمسح يديها ثم وجهها دلك أن الجو كان حار بعض الشيء .

توقفت عن النظر لهاتفي ورحت أتأمّلها، شعرت ببعض الغرابة حين رأيت يداها ترتعشان بل وبشيء من الريبة، حينها أخرجت منديلا آخر فتحته كاملا بيدها وحدقت بي، كانت نظراتها مرتجفة أيضا وحادة، حولت نظري عنها وتوجّهت للطريق ولم أشعر بها إلا وهي تتهجم علي بكل ثقلها واضعة المنديل المعطر على أنفي وفمي وبإحكام، حاولت التخلص منها قاومت وقاومت وقاومت.... لكن سرعان ما خارت قوايا وغبت عن الوعي تماما...

رويشة العابد 2017/05/15

ضحية إدمان

عرفت بعد أيام وبمحض الصدفة أن ما كنت أتناوله من صديقتي في العمل ولمدّة طويلة لم يكن دواء مسكّن لألم الصداع إنما هو نوع من أقراص التخذير التي تتحلّل في الماء، وأدركت متأخّرا جدّا أن زهو صديقتي الدائم وضحكاتها المستمرة وحيويتها المفرطة ومزاجها المرح على الدوام لم يكن لأنّها تعيش بلا مشاكل ودون منغصات للحياة بل إن كل ذلك لم يكن إلا بسبب أقراص الهلوسة التي أدمنت عليها وأيقنت وللأسف أن عصبيتي الزائدة وصداعي الدائم ومزاجي العكر لم يكن إلا بوادر أولى للإدمان.

كل هذا حدث حين غابت زميلتي لأوّل مرّة عن العمل لأسباب صحية واحتجت حينها لأقراصها المهدئة للصدّاع التي لم تفارقها منذ تحوّلت للعمل معها بنفس المكتب خلال السنة الماضية وقالت تصف هذه الأقراص بأقراص المزاج مازحة وكنت بعد تناولها أشعر بحالة غريبة من الفرح والاسترخاء وشيئا فشيئا يزول عني الصداع فأصبحت هذه الأقراص المفضّلة عندي وهي من كان يشتريها لي في كل مرّة احتجتها خاصّة في تلك الأوقات العصيبة من العمل نهاية السنة، وما كان لي من خيار هذه المرّة إلا أن حملت المغلف الفارغ

وأتّجـه لأقـرب صيدليـة حيـث يعمـل ابـن عمّـي وهنـاك كانـت صدمتـي حـين أفصـح لي إن هـذا النـوع مـن الأقـراص لا يبـاع دون وصفـة وإن تنـاول جرعـات إضافيـة منـه يـؤدّي إلى الإدمـان...

ورقلة في 03/05/2017

الفهرس

- الإهداء 07
- تاج من قوس قزح 08
- سيد الواجب 10
- كيف أعيش بلا أنامل حبيبتي 16
- غيرة مجنونة 17
- في الضفة الأخرى بعض الفرح 19
- حلمنا أن نسرق بنكا 22
- لا تخبري أحد أني أتابع طبيبا نفسيا 23
- قتلت حبيبتي 25
- وأنت فرصة لا تتاح مرتين 27
- ضيعت صحيفتي 29
- لا وطن بعد والدي 30
- الفرار للمجهول 31
- حلم أم يقظة 33
- قلب واحد وعينين اثنين 35
- حالة اختطاف 36
- ضحية إدمان 38